مصطلح "المعنى" عند النّحويين وأثره في الدّرس اللغوي

The term "meaning" for grammarians and its impact on the lesson of linguistics

Le terme « sens » pour les grammairiens et son impact sur la leçon de linguistique

عبد الغني الزيتوني
جامعة أمحمد بوقرة بومرداس

الملخص:

اهتمّ الدّرس النّحوي القديم بالمعنى وارتبط به ارتباطاً لم يكن لينفصل عنه، فكان عمل النّحاة متعلّقاً بالدّلالة منذ بداية أبحاثهم، ولعلّ الإعراب يعدّ من أهم القرائن المعبّرة عن المعنى، بحيث يربط الحالات الإعرابية بالمعاني النّحوية، وهذا ما يحتاجه الكلام ليكون مفهوماً، وإذا أُخفيت العلامة الإعرابية، ولم تنل موضعها فإنّ المعنى يكون مبهماً.

والمتتبّع لمفهوم "الإعراب" _الذي يعدّ عمود النّحو_ يجده متعلّقاً بالمعنـــى، حيث يعرّفه ابن جنّي بأنّه:" الإبـــانة عن المعاني بالألفـــــاظ"، ولكن ما المقصود بالمعاني التي يكشفها الإعراب؟ أهي المعاني النّحوية أم الدّلالية المعجمية؟ أم هما معاً؟ وما المقصود "بالمعنى" عند النحويين؟ وما العلاقة بين تفسير المعنى والإعراب؟ وكيف يؤثّر هذا الاختلاف في فهم مصطلح "المعنى" في الدّرس اللغوي؟

الكلمات المفتاحية: النحو، الإعراب، المعنى، اللغة.

Abstract:

The old grammar lesson was about meaning and inseparable from it. The work of grammarians was related to semantics from the beginning of their research, and perhaps syntax is one of the most important clues expressing meaning, as it relates inflectional cases to grammatical meanings. , and this is what speech needs to be understood, and if the inflectional sign is hidden If it is not localized, the meaning is ambiguous.

The follower of the concept of "syntactic analysis" - which is the mainstay of grammar - finds it related to meaning, as Ibn Jinni defines it as: "expressing meanings with words", but what the meanings mean revealed by syntactic analysis? Are semantic meanings grammatical or lexical? Where are they together? What is meant by "meaning" for grammarians? What is the relationship between interpretation of meaning and syntax? How does this difference affect the understanding of the term "meaning" in the language lesson?

Key words: Syntax, grammar, meaning, language.

Résumé:

L'ancienne leçon de grammaire concernait le sens et en était indissociable. Le travail des grammairiens était lié à la sémantique dès le début de leurs recherches, et peut-être que la syntaxe est l'un des indices les plus importants exprimant le sens, car elle relie les cas flexionnels aux significations grammaticales. , et c'est ce dont la parole a besoin pour être comprise, et si le signe flexionnel est caché S'il n'est pas localisé, le sens est ambigu.

L'adepte du concept d'"analyse syntaxique" - qui est le pilier de la grammaire - la trouve liée au sens, tel qu'Ibn Jinni le définit comme : "exprimer les significations avec des mots", mais ce que signifient les significations révélées par l'analyse syntaxique ? Les significations sémantiques sont-elles grammaticales ou lexicales ? Ou sont-ils ensemble ? Qu'entend-on par « sens » pour les grammairiens ? Quelle est la relation entre l'interprétation du sens et la syntaxe ? Comment cette différence affecte-t-elle la compréhension du terme "signification" dans la leçon de langue ?

Mots clés : Syntaxe, grammaire, sens, langage.

أوّلاً: مفهوم مصطلح "المعنى" عند النّحويين:

من أجل فهم هذا المصطلح بدقّة يحسن بنا الوقوف عند بعض التّعريفات الموجودة في تراثنا النّحوي، ولتكن أوّل محطّة مع أبي القاسم الزجّاجي في كتابه المشهور _الذي يعدّ أصلاً في النّحو_ وهو "الإيضاح في علل النّحو" بحيث يقول "الإعراب هو الحركات المبينة عن معاني

اللغة"[1]، ثم يُبين الفرق بين الإعراب واللغة" والدّليل على صحة ما قلناه من معنى اللغة والإعراب والفرق بينهما أنّه ليس كل من عرف الإعراب فهم وجوه الرّفع والنّصب والخفض والجزم أحاط علماً باللغة، ولا فهمها، ولا من فهم من اللغة قطعة، ولم يرض نفسه في تعليم الإعراب عرف الإعراب، ولا درى كيف مجاريه[2].

فالإعراب ليس هو الحركات المبينة عن المعاني فحسب، بل هو بالإضافة إلى ذلك فهم وجوه الرّفع والنّصب والخفض، والجزم، والدّراية بمجاريه، "ومجموع هذا كلّه هو دراسة أجزاء الجملة كلّها، والاهتمام بالعناصر النّحوية الأخرى، من تقديم وتأخير وتعريف وتنكير وحذف وزيادة"[3] ، كما يبيّن الزجاجي في موضع آخر هذه المعاني في باب القول الإعراب لِمَ دخل في الكلام قائلاً:" الجواب أن يقال: إنّ الأسماء لمّا كانت تَعْتَوِرها المعاني فتكون فاعلة أو مفعولة، ومضافة، ومضافة إليها، ولم تكن في صورها وأبنيتها أدلّة على هذه المعاني فقالوا: "ضرب زيدٌ عمرواً، فدلّوا برفع (زيد) على أنّ الفعل له، وبنصب (عمرو) على أنّ الفعل واقع به... وقالوا:" هذا غُلام زيدٍ" فدلّوا بخفض (زيد) على إضافة الغُلام إليه، وكذلك سائر المعاني جعلوا هذه الحركات دلائل عليها ليتّسعوا في كلامهم"[4]، فالمعاني المقصودة هي المعاني النحوية.

وننتقل إلى تعريف آخر يعدّ أكثر دقّة، وهو لابن جنّي حيث يقول:" الإعراب هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ، ألا ترى أنّك إذا سمعت: (أكرم سعيد أباه)، و(شكر سعيداً أبوه) علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شرجاً واحداً لاستبهم أحدهما من الآخر"[5]، فقد بين المعاني المقصودة، وهي معرفة الفاعل من المفعول، ولاشك أنّها نحوية تخصّ هذه الصّناعة: ثم ينتقل إلى إعطاء أمثلة يَخرج فيها عن تلك المعاني النّحوية ليدخل في بيان قرائن أخرى عندما يقول:" فإن قلت: قد تقول: ضرب يحي بشرى، فلا تجد هناك إعراباً فاصلاً، وكذلك نحوه قيل: إذا اتفق ما هذه سبيله ممّا يخفى في اللفظ حاله ألزم الكلام من تقديم الفاعل وتأخير المفعول ما يقوم مقام بيان الإعراب ، فإن كانت هناك دلالة أخرى

1 .أبو القاسم الزجاجي، الإيضاح في علل النّحو، تح: مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط7، 1432ه/2011م، ص91.

2 . المصدر نفسه، ص92.

3 . محمد حماسة عبد اللطيف، العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، مكتبة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ط1، 1984، ص:217.

4 . أبو القاسم الزجاجي، الإيضاح في علل النّحو، ص69.

5 . ابن جنّي، الخصائـــــــص، تح: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، ط1، 2006، ج1، ص:35.

من قبل المعنى وقع التّصرف فيه بالتّقديم والتأخير"[6]، فقد بيّن قرينة الرتبة، وقد استخدم كلمتين هما: "المعاني"، و"المعنى"، وكلّ منهما مختلف عمّا يدّل عليه الآخر، وهذا ما يوّضح أن ابن جنّي بيّن المعاني النّحوية من خلال تعريفه للإعراب، وبعد ذلك بدأ يسوق أمثلة تخرج عن المعاني النّحوية.

ونأتي الآن إلى تعريف ابن فارس، ولنحاول أن نكتشف المقصود بالمعنى عنده، يقول:" إنّ الإعراب هو الفارق بين المعاني، ألا ترى أنّ القائل إذا قال:< ما أحسنْ زيد> لم يقرق بين التّعجب والاستفهام والذّم إلّا بالإعراب وكذلك إن قال: < وجهك وجه حر> وَ < وجهك وجْهُ حرٍّ> وما أشبه ذلك من الكلام"[7]، ويقول في موضع آخر: " من العلوم الجليلة التي خصّت بها العرب الإعراب الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ، وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام، ولولاه ما ميز فاعل من مفعول ولا مضاف من منعوت، ولا تعجّب من استفهام، ولا صدر من مصدر، ولا نعت من تأكيد"[8].

ونلاحظ أن مدلول الإعراب في نص ابن فارس أوسع من دلالات العلامات الإعرابية وحدها، لا تعين على معرفة النّعت من التأكيد مثلاً، وقد أوضح في موضع آخر أنّ مدلول الإعراب الذي يعنيه هو ما يقابل الصرف أو التصريف، يعني به علم النحو كلّه، بما يشتمل عليه من قواعد تنظيم الجملة، وقد ذكر هذا في باب الخطاب الذي يقع به الإفهام من القائل، والفهم من السّامع فقال:" إنّ ذلك بين المتخاطبين من وجهين: أحدهما الإعراب والآخر التصريف"[9].

وننتقل الآن إلى عالم من علماء التفسير، العارفين بكلام العرب، إنّه الزّركشي، وهو يبيّن مزيّة الإعراب "قالوا: والإعراب يبيّن المعنى، وهو الذي يميّز المعاني، وهو الذي يوقف على أغراض المتكلمين بدليل قولك: (ما أَحْسَنَ زيْداً) وَ (لَا تأكل السّمك وتشرب اللّبن)، وكذلك فرّقوا بالحركات وغيرها بين المعاني فقالوا: مِفْتَح للآلة التي يُفتح بها، ويقولون: امرأة طاهر من الحيض، لأنّ الرجل لا يشاركها في الطّهارة"[10]، فهُو يُدخل أموراً لا علاقة لها بالإعراب للكشف عن المعاني، مشيراً إلى أمور أخرى فرّقت بين المعاني في قوله:" وغيرها" ، مثلما أشار ابن فارس في مل نقلناه سابقاً، ولكنّه بعد ذلك أتى بكلامٍ آخر يجعلنا نفهم بدقّة ما قصده من المعاني

---

[6] . المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[7] . أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، تح: عمر الفاروق الصباع، مكتبة المعارف، بيروت، ط1، 1993، ص:66.
[8] . المصدر السابق، ص:75-76.
[9] . المصدر السابق، ص:196.
[10] . الزركشي، البرهان في علوم القرآن، عالم الكتب، بيروت، دط، دت، ج1، ص377-378.

وهو:" إنّه يجب على النّاظر في كلام الله أن يفهم معنى ما يريد أن يعربه مفرداً كان أو مركبا قبل الإعراب"[11]، إذ كيف يكون الإعراب مبنيّا للمعنى؟ ثمّ يوجب على النّاظر في كتاب الله أن يفهم المعنى قبل الإعراب، فهذا الفهم قاطع الدّلالة بأنّ الإعراب بمعنى العلامات الإعرابية فرع المعنى النّحوي لا المعنى الدّلالـــــي.

ومن خلال هذه النّماذج التي عُرضت، يمكن القول بأنّ المعنى عندهم يُطلق على أنواع متعدّدة من المعاني، فمرّة يُراد به الوظائف النّحوية، ومرّة يُراد به الموقف أو المقام أو السّياق، وآخر يُراد به المعنى الدّلالي المعجمي،" ومن الواضح أنّ هذا الأخير يأتي نتيجة لعدد من المعاني المختلفة في تركيب الجملة، منها المعنى الصرفي والنحوي والمعجمي"[12]، ولكنّ كلمة (المعنى) في تعريف الإعراب تبقى دالة على المعاني النحوية من فاعليّة ومفعوليّة، إلّا إذا قُيّدت وأُضيف لها أمثلة تدلّ على المعنى الدّلالي أو قرينة من قرائن المعنى، وكثيراً ما كان نحاتنا ينصّون عل أنّ المعنى الدّلالي في جانب، والإعراب في جانب آخر، ولهذا نجد كثيراً في كتاب سيبويه:" فهذا تمثيل وإن كان لا يستعمل في الكلام."[13]

ولهذا وجب مراعاة التّركيب وأحكام الصّناعة دون المعنى، فقد يأتي ظاهر التّركيب موهماً بإعراب معيّن قد تجيزه القواعد النّحوية، لكنّه عند عرضه على المعنى المقصود لا يستتيم، ومنه قوله تعالى: ﴿أَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ [يونس:71] ، فالمعنى الأول الذي يُفهم من إعراب عطف (شُرَكاءِكم) على (أمركم) بالواو العاطفة لا يستقيم، لأنّ الأمر إلـــــهي لا يتوجّب خطابه على المسلمين، وإنّما المعنى الصّحيح هو أنّ الواو على المعيّة أي: أجمعوا أمركم مع شركاءكم، وهذا المعنى المناسب[14].

وهذا الأمر يُعدّ من الحقائق المقررّة في الدّرس الحديث المتمثّل في الاعتماد بالشّكل في المقام الأوّل مع عدم الانصراف عن أخذ المعنى في الحسبان، وهو أحد المبادئ المقررّة عند البنيويّين، "وأنّ المتصفّح للمؤلّفات النحويّة العربيّة، يرى هذا المبدأ هو المسيطر على الفكر النّحوي عند النّحاة العرب منذ أيّام سيبويه، وما علاجهم التّعريف والتّذكير والتّأنيث والإفراد والتّثنية والجمع، والمبتدأ والخبر، والفعل والفاعل وغير ذلك إلّا أثر من

[11] . المصدر نفسه، ج1، ص:378.
[12] . محمد حماسة عبد اللطيف، العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، ص222.
[13] . سيبويه، الكتـــــــاب، تح: محمد عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ج1، ص:177.
[14] . حمروش إدريس، التأويل في النحو العربي، مجلّة "منتدى الأستاذ"، العدد الأوّل، أفريـــل، 2005م، ص106.

آثار المنهج الشّكلي عند نحاة العربية"[15]، فنراهم على سبيل المثال يعربون (مات محمدٌ) فعلاً وفاعلاً، مع أنّ الفاعل الحقيقي في المعنى الحقيقي لا وجود له في اللفظ، كما يعربون(خاصم محمدٌ عليا) فعلاً وفاعلاً ومفعولاً به، مع أنّ المفعول هنا فاعل في المعنى كذلك.

وفي ضوء "المعاني النّحوية" نستطيع فهم عدّة أمور في هذه الصّناعة، ومن خلال التّمييز بين المصطلحات نسلم من الوقوع فيما وقع فيه بعض الدّارسين الذين ينادون بإلغاء الإعراب، وحذف بعض أبوابه، وهو ما سنوضّحه في بحثنا هذا.

ثانيّاً: العلاقة بين تفسير المعنى والإعـــــــــراب:

نحاول في هذا الموضع أن نسوق بعض الأمثلة التي تدعّم ما توصلنا إليه فيما سبق، من أنّ الإعراب يكشف عن المعنى النّحوي من فاعلية ومفعولية وغيرهما، على أنّ معنى الفاعل هو الفاعل الاصطلاحي، وليس الفاعل في المعنى، وكذا بالنّسبة لبقية المصطلحات النّحوية.

ومن بين هذه الأمثلة ما جاء في إعراب قوله تعالى : ﴿ئرئزئمئن ئىئيبربزبمّ [البقرة:51] يقول العكبري:" وأربعين المفعول الثّاني، وفي الكلام حذف تقديره، تمام الأربعين، وليس (أربعين) ظرفاً، إذ ليس المعنى (وعده في أربعين)"[16] ، ويقول الأنباري:" و(أربعين ليلة) مفعول ثانٍ لواعدنا، وتقديره: تمام أربعين ليلة، فحُذف المضاف، وقام المضاف إليه مقامه، ولا يجوز أن يكون منصوباً على الظرف لأنّه يصير المعنى: واعدنا في أربعين ليلة"[17]، فكلمة (أربعين) منصوبة في كلتا الحالتين، ولكن الوظيفة تختلف من المفعولية إلى الظّرفية، والمعنى الدّلالي لا يستقيم إلّا بجعل اللفظ أو [18]الصناعة النّحوية أو ما نقول عنه الوظائف النّحوية على الوجه الذي نفهمه من السّياق، وهو نجد دليلنا إلى الإعراب هو المعنى، وليس العكس.

وفي إعراب قوله تعالى: ﴿ئرئزئمئنئىئيبربزبمبنبيبيترتزتم تنّ [البقرة:121] ، جعلوا قوله تعالى" يتلونه حقّ تلاوة" حالاً، مستدلين بالمعنى، قال العكبري:" ولا يجوز أن يكون (تلاوته) الخبر، لأنّه يوجب أن

---

[15] . رمضان عبد التّواب، الدّرس اللّغوي في العربية بين التراث والمعاصرة، مجلّة تصدر عن المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر، 2001م، ص280/279.

[16] . العكبري أبو البقاء، التبيان في إعراب القرآن، دار الشّام للتراث، بيروت لبنان، دط، دت، ج1، ص62.

[17] . ابن الأنباري أبو البركات، البيان في غريب إعراب القرآن، دار الأرقم للطّباعة، بيروت، دط، دت، ج1، ص83.

[18] . العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ج1، ص116/115.

يكون كلُّ مَنْ (أوتي الكتاب) يكون (حقّ تلاوته) وليس الأمرُ كذلك"، وقال الأنباري:" و(يتلونه) جملة فعلية في موضع نصب على الحال من المضمر المنصوب في (آتيناهم)، ولا يجوز أن يكون كل من (أوليّ يتلونه حقّ تلاوته)، وليس الأمر كذلك إلّا أن يكون الذين أوتوا الكتاب الأنبياء عليهم السّلام"[19].

وهناك أمثلة عديدة لعدم اتّفاق أو تطابق (المعنى) المراد من الجملة مع الإعراب، من ذلك نلاحظ أنّه لا فرق من جهة المعنى بين " زيدٌ قائم" و"قام زيدٌ"، ولكن إعرابها مختلف.

ومن ذلك أيضاً ما نقله ابن جنّي في كتاب "الخصائص" في باب " الفرق بين تقدير الإعراب وتفسير المعنى"، مبينا أنّ مثل هذه المواضيع تقود بصاحبها إلى إفساد الصّنعة إذا لم يكن دقيق النّظر، "وذلك كقولهم في تفسير: (أهلكَ والليلَ) معناه (الحق أهلك قبل الليل فربّما دعا ذاك من لا دربة له إلى أن يقول: (أهلك والليلِ) فيجّره، وإنّما تقديره: (الحق أهلك وسابق اللّيلَ)"[20].

ونظراً لأهمية هذا الأمر، يأتي ابن جنّي بأمثلة كثيرة في هذا الباب، ومن هذا قولهم في قول العرب:" كل رجل وصنعته، وأنت وشأنك" معناه: أنت مع شأنِك، وكلّ رجل وصنعتِه، فهذا يوهم من أنّ الثّاني خبر عن الأوّل، كما أنّه إذا قال: أنت مع شأنك فإنّ قوله: (مع شأنك) خبر عن (أنت)، وليس الأمرُ كذلك، بل لَعَمْري إنّ المعنى عليه، غير أنّ تقدير الإعراب على غيره، وإنّما (شأنك) معطوف على (أنت) والخبر محذوف للحمل على المعنى، فكأنّه قال: كلّ رجل وصنعته مقرونان؛ وأنت وشأنُك مصطحبان، وعليه جاء العطف بالنّصب"[21]، ويحذر كل من لم يتنبّه لهذا قائلاً: "ألا ترى الفرق بين ما بين تقدير الإعراب وتفسير المعنى، فإذا مرّ بك شيء من هذا عن أصحابنا فاحفظ نفسك منه، ولا تسترسل إليه، فإذا أمكنك أن يكون تقدير الإعراب على سمت تفسير المعنى فهو ما لا غاية وراءه، وإن كان تقدير الإعراب مخالفاً لتفسير المعنى تقبلت تفسير المعنى على ما هو عليه، وصححّت طريق تقدير الإعراب حتّى لا يشذّ شيئاً منها عليك، وإيّاك أن تسترسل فتفسد ما تؤثّر إصلاحه"[22].

---

[19] . ابن الأنباري، البيان في غريب إعراب القرآن، ج1، ص120.
[20] . ابن جنّـــــــــي، الخصائص، ج1، ص273.
[21] . المصدر نفسه، ج1، ص231.
[22] . المصدر نفسه، ج1، ص274/273.

ونكتفي بهذه الأمثلة التي تبيّن ضرورة احترام الصّناعة النّحوية، والتّعرّف على مصطلحاتها برويّة ودقّة، وفيما يأتي سنبيّن أثر التّسرع، ولاسيما عدم فهم مصطلح "المعنى".

ثالثـــــاً: أثر الاختلاف في فهم مصطلح "المعنى" في الدّرس اللّغوي:

لكلّ علم من العلوم مصطلحات خاصة به، وعلم النّحو ليس بدعاً من هذه العلوم، إذ نجد له أصولاً وقوانين ومصطلحات تضبطه، وهي قائمة في أساسها على علاقات لفظية معيّنة، وعلى الرغم من أنّ النّحوي لابد أن ينظر إلى المعنى في وضع قواعده، فإنّ اعتماده على المعنى كان محدوداً، وبقدر معلوم، وبشكل لا يسيء إلى الصناعة النّحوية، ولكن الإشكال في هذه المسألة يكمن في الاعتماد المطلق على المعنى، والخروج عن قيود الصناعة النحوية، ومحاولة التّحرر عنها، وهو ما يجرّ إلى حدوث خلل واضطراب، ولعلّ أوّل هذه الآثار والاضطرابات؛ إنكار دلاليّة العلامات الإعرابية، وكذا الخلط بين المصطلحات النّحوية و المعجمية والدّلالية، واللّذان أدّيا بدورهما إلى استنتاج آخر مفاده: الدّعوة إلى تسيير النّحو وإلغاء الإعراب.

1- إنـــــــكار دلاليّة العلامات الإعرابية:

من القضايا التي شغلت بال الباحثين اللغويين قضيّة: هل الحركات التي تتعاقب على أواخر الكلمات هي إشارات إلى معاني مختلفة؟ أم أنّه يُؤتى بها لوصل الكلمات، ولقد تطرّق إلى ذلك القدامى في مؤلّفاتهم كسيبويه والزجاجي، وابن جنّي، وهم مجمعون على دلالة العلامات الإعرابية، إلّا أنّ هذا الرّأي لم يحظ بإجماع النّحويين، فقد ظهرت بعض الآراء المختلفة التي ترى عكس ذلك، وهذا على قِلّتها، يتزعّمها قطرب (ت206ه) ، وتبعه في هذا الرّأي إبراهيم أنيس، ومن كان على شاكلته من المحدثين، ويتّضح هذا من خلال قوله:" لم تكن تلك الحركات الإعرابية تحدّد المعاني في أذهان العرب القدامى كما يزعم النّحاة، بل لا تعدو أن تكون حركات يحتاج إليها في كثير من الأحيان لوصل الكلمات لبعضها البعض"[23]، مسنده على هذا بأنّه يمكننا " أن نقرأ خبراً صغيراً في إحدى الصحف على رجل لم يتّصل بالنّحو أي نوع من الاتّصال فسنرى أنّه يفهم معناه تمام الفهم مهما تعمدّنا الغلط في إعراب كلماته، برفع المنصوب،

[23] . إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 1996، ص182.

ونصب المرفوع، أو جرّه"[24]، وأنّه " لو كانت حركات أواخر الكلمات دوال على معان مختلفة، لما جاز اختلافها في القراءات القرآنيّة، ولما جاز كذلك أن يوقف على الكلمات بحذف الحركة الأخيرة، أي بالسّكون كما هو معروف في ظاهرة الوقف في العربية، لأنّ هذا يعني جواز حذف ما يدلّ على معنى الكلمة أو وظيفتها في الجملة"[25]، وغير ذلك من الأدّلة التي لا يتّسع المقام لذكرها، ولكن أدّلته هذه ضُعّف من قبل الدّارسين ورُدّت، إذ لا يمكن خفض الفاعل مرّة ورفعه أُخرى أو نصبه، كما توجد صيغ كثيرة تختلف معانيها باختلاف حركاتها، والأمثلة عديدة، ففي قوله تعالى:ﭐﱡﭐ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﱠ [التوبة:03] ، إن قُرئت بجر (رسولِه) تؤدّي إلى الكفر، وإن قُرِئت بالرّفع أو النّصب تؤدّي إلى المعنى المستقيم، والآيات في هذا كثيرة و متعدّدة. هطا بالإضافة إلى مجموعة من الأدّلة التي فنّدت رأي قطرب وابراهيم أنيس ومن ذهب مذهبهما.، والأمر هذا كلّه يرجع أساساً _في رأينا_ إلى عدم التّفريق بين المعنى النّحوي والدّلالي أو معنى الإفادة، فعلينا أن نجتهد في فهم كلام القدماء حتّى لا نقع في اتّهامهم، وأن نقف على هذه الأشياء حيث وقفوا ثمّ نفسّر"[26].

2- الخلط بين المصطلحات النّحوية والمعجميّة والدّلالية:

ما يُلاحظ في كتب النّحو أنّ بعض اللغويّين اختلطت عليهم المصطلحات التي وضعها النّحاة الأوائل، والتي تعبّر عن معنى نحوي وضعه أهل هذه الصّناعة، وبين الإفادة، وإن كنّا أشرنا إلى بعضها كالفاعل مثلاً عند النّحويين ليس كل من قام بالفعل حقيقة، وهناك بعض المصطلحات الأخرى التي كان لها أثر سلبي في تطوّر الدّرس اللّغوي عموماً، والنّحوي على وجه الخصوص، وعائق كبير قد يقف في وجه المتعلّمين، ومن تلك الأمثلة:

أ- إطلاق النّحاة مصطلح "الحروف الزّائدة"، كما في قوله تعالى مثلاً: ﭐﱡﭐ ﲀ ﲁ ﱠ [ص:65] فنجدهم يعربون (مِنْ) حرف جر زائد، لأنّ الجار والمجرور هنا لم يدل على حيّز من المكان بل إنّ (من) في الآية السّابقة تدل على استغراق الجنس أي نفي وجود الآلــهة إلّا الله سبحانه وتعالى، فحرف الجرّ ليس له وظيفة نحوية تخص الإعراب في هذه

---

24 . المرجع نفسه، ص224.

25 . إميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، دار العلم للملايين، ط1، 1981، ص133.

26 . سيبويه، الكتــــــــاب، ج1، ص266.

الحالة، بل وظيفة معنوية، وهي استغراق النّفي للجنس كلّه، أمّا في قولنا:" (يلعب الأولاد في الحديقة) الجار والمجرور هنا متعلّقان بالفعل (لعب)، ومعنى ذلك أنّ الحيّز الزّماني للعب كان في الحديقة، وإذن فالتّعليق إنّما هو بيان لمدّة الزمان الذي استغرقها الفعل أو بيان للحيّز المكاني الذي وقع فيه الفعل"[27]، فالزّيادة التي يقصدها النّحاة ليست زيادة معنوية أو لغواً بمعنى أننا أضفنا تلك الحروف عبثاً ولغواً، وإنّما هي معنى نحوي.

ب- مصطلح "الفضلة": الذي استعمله النّحاة بكثرة، وقد أثار جدلاً نتيجة سوء الفهم، ولقد عرّف بعضهم الفضلة بأنّها:" ما يستقل الكلام دونها"[28]، ومرادهم بهذا التّعريف، أنّ بعض الجمل قد تحتاج إلى ذلك، والاصطلاح "فضلة" لمغايرة المسند و المسند إليه، وللدلالة على أنّه إذا حُذف لا يقدر كما يقدر المسند والمسند إليه، وليس مقصود بالفضلة أنّه يجوز الاستغناء عنها من حيث المعنى، كما أنّه ليس المقصود بها أنّه يجوز حذفها متى شِئنا، فإنّ الفضلة قد يتوقّف عليها معنى الكلام .

ج_ تعدّد المصطلح: الذي أصبح إشكالية في جميع العلوم، فتعدّد المصطلح النّحوي للدّلالة على مفهوم واحد؛ يمثل عقبة من عقبات الدّرس النّحوي، كما أنّ الاشتراك بين مصطلحات النّحو والصّرف يمّثل عقبة أخرى باعتبارهما علمين متلازمين حتّى أنّهما ليُعَدّان علما واحداً عند بعض اللّغويين، ومن هذه المصطلحات: الفعل النّاقص، الذي يحتمل مفهومين، نحويّا وهو كان و أخواتها أي الأفعال التي لا تتم الفائدة منها بمرفوعها، وصرفيّاً هو الأفعال المعتلّة الآخر، وكثيراً ما يشكل على الطّالب التفريق بين دلالتيّ هذا المصطلح فيحصل الخلط بينهما، فإن قيل له: إنّ (دعا) فعل ناقص، وأنت تعني صرفيّاً، راح يسأل عن اسمه وخبره نحويّاً، وكذلك بين "الصرف" الذي يدل على العلم المعروف، والممنوع من الصّرف الذي يدل على الممنوع من التنوين، فاستخدام مصطلح الممنوع من الصّرف يحدث لبساً لدى متعلّم النّحو في بدايته، فهو يظن مثلا أنّ (أحمد) لا يمكن أن نصرّفه مع الضمائر المعروفة، فهو ممنوع من الصّرف، وذلك مع الاعتراف بوجود علاقة بين الدّلالتين.

ومن هذه المصطلحات أيضاً (الخبر) والجملة الخبرية، فمصطلح (الخبر) في علوم العربية له دلالتان، ففي النحو يطلق على الجملة الواقعة

[27] . أحمد سليمان ياقوت، ظاهرة الإعراب في النّحو العربي وتطبيقها في القرآن، شركة الطّباعة العربية، السعودية، ط1، 1981، ص8/7.
[28] . ابن يعيش، شرح المفصّل، مؤسسة الرّسالة، بيروت، دط، دت، ج1، ص74.

خبراً لمبتدأ أو في حكمه، في حين يطلق في علم البلاغة على الجملة التي تحتمل التّصديق والتّكذيب، ومصطلح (الأفعال الخمسة)، "إذ المتأمّل لهذا العنوان يتبادر إليه أنّه ينصّ على خمسة أحداث (أفعال) يجب التّعرف عليها، إلّا أنّ تحليل الموضوع ينبّه الدّارس أنّ المقصود هو خمس صيغ تأتي عليها الأفعال، وتشترك هذه الأفعال في صفات محدّدة، بغض النّظر عن طبيعة الحدث ذاته[29]. ومنها مصطلح "الفصاحة" الذي خفي معناه عند بعض الدّارسين، وأشكل عليهم، ولم يميّزوا بين الفصاحة اللّغوية والبيانية، وهذا ما جعلهم ينكرون بعض الأسس والقواعد التي أقرّها اللغويّون القدماء.

3- الدّعوة إلى تيسير النّحو وإلغـــــــــاء الإعراب:

إنّ المتصفّح لكتب القدماء وكيفية تعاملهم مع آيات القرآن الكريم والشِّعر؛ ليظهر له جليّاً قصور المؤلفات الحديثة التي تعتمد على شرح المنظومات النّحوية، وبما أسموه بكتب تيسير النّحو، وقد وصفت هذه المرحلة بالجمود بسبب ما أحلّ بأهلها من ضعف أدّى إلى وجود أقوام ينادون بضرورة تيسير تلك القواعد التي وصفت بأنّها صعبة وغير مفهومة، وإزالة الإعراب من الكلام العربي، أو إلى حذف بعض أبوابه بدعوات متفاوتة الخطورة، إمّا عن حسن نيّة أو خبث طويّة، وانتقد بعض الباحثين مادة النّحو انتقاداً لاذعاً وبخاصة منهم الغربيون، لأنّهم لم يجدوا الإعراب في لغتهم فأحسّوا حينها بالنّقص، وتبعهم في ذلك بعض الدّارسين العرب، فشنّوا هجوماً لا هوادة فيه على الإعراب وسخروا منه، بل وحتى من أحرف اللغة العربية، فهذا الجنيدي خليفة يصف الإعراب بقوله:" الإعراب، هذا الخراب..."[30] ، وأنّ العربية تعجز عن التّعبير عن الحياة وهي صعبة التّعلم والتّعليم لصعوبة نحوها بخلاف العامية التي هي سهلة بزعمهم، وأنّ الفصحى أصبحت عُرضة للخطأ الذي لا يكاد ينجو و سيلم منه أحد، وإنّ المتأمّل في هذه الأقوال يجدها نابعة عن سوء الفهم، والخلط كما أسلفنا، والتّسرع في إصدار الأحكام،" ذلك أنّ وقوع الخطأ أقلّ خطورة من خطأ التّخلي عن الإعراب، لأنّ اختزال القواعد سيتلوه اختزال بعد اختزال، وتظلّ الشّكوى قائمة"[31]، وتبقى هكذا وتستمر في هدم كل ما بناه

[29] . عبد المجيد عيساني، النحو العربي بين دعاة الأصالة ودعاة التّجديد، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، سنة 2003م-2004م، ص300.
[30]. الجنيدي خليفة، نحو عربية أفضل، دار هومه، دط، دت، ص68.
[31] . أحمد شامية، التيسير لا التّكسير، مجلّة تيسير النحو، تصدر عن المجلس الأعلى للغة العربية، سنة2000م، ص174.

أسلافنا الذين بذلوا قصارى جهدهم من أجل بناء هذا الصرح العظيم، ومازال هناك مجال للدراسة الجادّة لكل من أنس في نفسه القدرة على إضافة لبنة إلى البناء، وليس أن يهدم بدعوى التبسيط أو التيسير كما يحلو لبعضهم تسميته، حتى وإن حصل هذا التيسير يجب النّظر إليه بحذر، وترقّبه بتبصّر، ونكون منه على خوف ووجل، ولقد أنكر عبد الرحمان الحاج صالح على دعاة التبسيط قائلاً:" كيف يبسّط النّحو؟ وهو القانون الذي بُني عليه اللّسان"[32]، ولقد حاول هؤلاء على حدّ تعبيره:" استبدال أوضاع النّحو بشيء تافه استعاروه من النّحو التقليدي الأوروبي وما استبدلوه في الواقع إلّا بمصطلح آخر يقلّ عنه قيمة ومدلولاً"[33].

وممّا يعاب علو هؤلاء المتحاملين على النّحو العربي؛ جهلهم أو تجاهلهم بما خلّفه الأعلام الأوائل، ولو عادوا إلى ينابيعه الأولى فأحيوها؛ لَحَيَوا بها، وإنّ هذا العلم ما نشأ من فراغ، ولم يكن نتيجة تأمّل فبسفي، وإنّما هو علم استنبطت قوانينه من كلام الباري تعالى، كما غاب على هؤلاء أيضاً أنّ أعلا منّا كان العلم سلوتهم، والدّقة العلمية منهجهم.

وصفوة القول أنّه لا مجال للتّخلي عن الإعراب بحال، ولا حتّى التّفكير في ذلك، وأنّ تسكين أواخر الكلمات إعدام لكثير من المعاني، وعلينا التّريث في فهم المعاني والتّفريق بين الإفادة و مصطلحات أهل الصّناعة النّحوية قبل إصدار الأحكام، ولنكن حذرين من أن نهدم ما توصّل إليه أسلافنا.

[32] . عبد الرحمان الحاج صالح، مجلة اللسانيات، العدد الرابع، 1973-1974م، ص22، (ينظر الهامش).
[33] . المرجع نفسه، ص68.

قائمة المصادر والمراجع

1- أبو القاسم الزجاجي، الإيضاح في علل النّحو، تح: مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط7، 1432ه/2011.
2- محمد حماسة عبد اللطيف، العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، مكتبة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ط1، 1984.
3- أبو القاسم الزجاجي، الإيضاح في علل النّحو.
4- ابن جنّي، الخصائـــــــص، تح: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، ط1، 2006.
5- أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، تح: عمر الفاروق الصباع، مكتبة المعارف، بيروت، ط1، 1993، ص:66.
6- المصدر السابق، ص:75-76.
7- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، عالم الكتب، بيروت، دط، دت، ج1.
8- محمد حماسة عبد اللطيف، العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث.
9- سيبويه، الكتـــــــــاب، تح: محمد عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ج1.
10- حمروش إدريس، التأويل في النحو العربي، مجلّة "منتدى الأستاذ"، العدد الأوّل، أفريـــل، 2005.
11- رمضان عبد التّواب، الدّرس اللّغوي في العربية بين التراث والمعاصرة، مجلّة تصدر عن المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر، 2001.
12- العكبري أبو البقاء، التبيان في إعراب القرآن، دار الشّام للتراث، بيروت لبنان، دط، دت، ج1.
13- ابن الأنباري أبو البركات، البيان في غريب إعراب القرآن، دار الأرقم للطّباعة، بيروت، دط، دت، ج1.
14- العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ج1.
15- ابن الأنباري، البيان في غريب إعراب القرآن، ج1، ص120.
16- ابن جنّـــــــــــي، الخصائص، ج1.
17- إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 1996.

18- إميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، دار العلم للملايين، ط1، 1981.
- ينظر: الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، ص71، إميل بديع يعقوب، فقه اللغة وخصائصها.
19- سيبويه، الكتـــــــاب، ج1.
20- أحمد سليمان ياقوت، ظاهرة الإعراب في النّحو العربي وتطبيقها في القرآن، شركة الطّباعة العربية، السعودية، ط1، 1981، ص8/7.
21- ابن يعيش، شرح المفصّل، مؤسسة الرّسالة، بيروت، دط، دت، ج1.
22- عبد المجيد عيساني، النحو العربي بين دعاة الأصالة ودعاة التّجديد، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، سنة 2003م-2004.
23- الجنيدي خليفة، نحو عربية أفضل، دار هومه، دط، دت، ص68.
24- أحمد شامية، التيسير لا التّكسير، مجلّة تيسير النحو، تصدر عن المجلس الأعلى للغة العربية، سنة2000.
25- عبد الرحمان الحاج صالح، مجلة اللسانيات، العدد الرابع، 1973-1974.